ثورة التصحيح والتعامل مع الحقائق..

د. سيد نوفل

المصور

ثورة التصحيح ثورة رائدة خلاقة .. أخرجت مصر العربية من ظلمات الهزيمة والاحتلال إلى نور النصر والتحرير. وفتحت الأبواب واسعة لبناء الديموقراطية السليمة والتنمية الشاملة .. وألقت على كل مواطن مسئولية النهوض بالواجب فى هذه المرحلة التاريخية : مرحلة التحول الوطنى الكبير..

الياس سركيس .. زار لبنان خوفا على مواز

الشيخ جابر الأحمد الصباح .. لقاء مع « أبو عمار »

وعلى مشارف الذكرى التاسعة لثورة التصحيح ، يجمل بنا أن نستذكر أبعاد هذا التحول .. وأن نقابل بين ما كنا عليه وما أصبحنا فيه .. وأن نعمق الأسباب وندعم الوسائل .. وأن يكون ذلك حافزا لمضاعفة العمل وللمزيد من الثقة والأمل ... وفى هذا نشير إلى ما يأتى :

١ – كانت عوامل اليأس والشك تستبد بالعقول والقلوب .. فحلت محلها عوامل الأمل والثقة ..

٢ – وكانت الأرض المصرية والإرادة المصرية مكبلتين بالاحتلال الأجنبى والطغيان الداخلى .. فحررت الأرض والإرادة معا . وأصبحنا نبنى كل يوم جديدا . ونفتح آفاقا للإعمار والاستثمار ..

٣ – وكنا فى النزاع العربى الإسرائيلى متخلفين .. نتأخر رغم قوانا الوفيرة وأعدادنا الكثيرة .. فبدأنا نتقدم ونستثمر قوانا الذاتية : الطبيعية والبشرية .

٤ – وكانت الكلمة العربية صرخة فى واد .. الشرذ فى أذهان العالم بالشطط فى القول والعجز فى العمل .. فعلت كلمتنا . وفرضت نفسها فى كل مكان .. واعترفت قضايانا القومية .

٥ – وكانت القوى العربية الطبيعية مهدورة لا سلطان لنا عليها .. يستغلها الغير ولا يشكرنا .. فأصبحت لنا السيادة عليها . وأصبح العالم يقدرها حق قدرها .. وتوظفت عوائدها وتمت ثمراتها ...

٦ – وكانت إسرائيل . والعالم معها . تعيب علينا السلبية والرفض .. فحررت مصر والجماهير العربية منها .. وأصبحنا رمزا لسياسة التشدد الإسرائيلين المباوءة .. وأن للرافضين العرب أن يتحرروا منها أو يسيطروا بها ..

□ □ □

■ ويطول الحديث عن الانجازات المصرية فى هذه السنوات العشر المباركات .. وإذا كان التاريخ لا يعنى بالتفاصيل وخاصة بعد تقادم الزمان .. فإن سجله لن يخلو من الحقائق الكبرى لهذه الحقبة الخالدة .. وهى :

١ – حققت مصر المستحيل بعبور القناة وتحطيم حصون بارليف وتحرير سيناء ..

٢ – فتحت ثغرة الثأى العالمى بعد أن قدر العالم أن لن يعود سيناء أبدا ..

٣ – صححت مسار النزاع العربى الإسرائيلى بمبادرة السادات التاريخية عام ١٩٧٧ ..

٤ – أرست قواعد السلام العادل الشامل فى الشرق الأوسط باتفاقات السلام عام ١٩٧٩ .. وفتحت أبواب الحرية والتنمية للمنطقة كلها .. وإن يذكر التاريخ مأساة الرافض العربية فهى تجافى حركة التاريخ التى لا دافع لها .. وقد آذنت بالزوال .. بعد أن دمرت نفسها من داخلها ومن خارجها .. وأصبح العمل للخلاص القريب منها . ومن مخاطرها المحدقة . فرض عين على كل عربى يعرف واجبه نحو نفسه ووطنه وأمته ..

ولقد كان التعامل مع الحقائق هو سر النجاح الذى حققته مصر طوال السبعينات . وكان التغاضى عن الحقائق الوطنية والقومية والدولية ، وحقائق إسرائيل ذاتها هو سر ما أثم تعثر وشقيقاتها من هزائم متصاعدة طوال ربع قرن من الزمان ..

ولا ريب أن التعامل مع الحقائق ، وإن كانت رهيبة ، هو النهج المستقيم للقادة فى النهوض بمسئولياتهم ، وللشعوب فى تصاعد انجازاتها الخيرة ، ولاستعادة عظمتها الوطنى ومكانتها الدولية ..

شميت وزوجها . . ألمانيا الغربية واليابان اللتان اصبحتا قوتين عظميين فى وزنهما فى العالم .

ومن الذين أحسوا التعامل مع الخلائق ، بعد الفرقة الناجحة مرة بعد أخرى ، اليابانيون والألمان الغربيون . وأيضا يتحدث اليوم إلى كارتر حديث الند للند والقوى للقوى . . ويعترف كارتر بأن لكلمة اليابان وزنها وشأنها فى الشرق الأقصى وفى العالم الصناعى الغربى ، وفى العالم كله . .

وما بلغته ألمانيا الغربية من قوة وتقدم ، بعد خمسة وثلاثين عاما من الفرقة الناجحة ، يفوق ما حققته اليابان ، ويتجاوز كل تصور . . ويرى تحليل سياسى بريطانى فى هذه الأيام أن هيلموت شميت ، مستشار ألمانيا الغربية ، يمكن أن يكون رجل الكائنات ، وأن يكون أعظم الساسة تفردا فى العالم غير الشيوعى . . ويؤكد أن لديه من الفرص المتاحة ما يفتقده أى زعم غربى آخر . . فالرئيس كارتر قد أفقدته سياسته المترددة وأعجزته ارتباكه فى غيره . . ورئيسة الحكومة مارجريت تاتشر بعيدة النظر حقا ، لكنها تقود دولة ضعيفة اقتصاديا . . والرئيس جيسكار ديستان مقيد بشبه العزلة الذى فرضته فرنسا على نفسها . كما أن رئيس الحكومة أوهيرا مقيد بشبه العزلة المفروض تاريخيا على اليابان . . .

ومع ذلك يعارض التحليل البريطانى بيج شميت فى الصراع الدولى الراهن . . ويقدر خبرته فى الحرص الشديد على الوفاق الدولى ، وحشية عودة المسار الجديدى الروسى . . وهى عودة لا مجال لتصورها . . ويذكر التحليل شميت بقولة له سمعت منذ عشر سنوات ، ومن قبل توليه الزعامة الألمانية بأربع سنين . . فقد قال شميت حينذاك :

■ يستطيع التراجى من لا يستطيع رؤية الحقائق الرهيبة ، أو من يراها ويتعامى عنها عمدا . . فالذين يستهويهم إغراء التراجى هم الذين يتكبهم التعامى عن الحقائق . .

لكن شميت يقدم فى الواقع الحقائق الرهيبة على كل ما عداها . . وهى سعى ألمانيا الغربية لإقامة الوفاق الدولى أملا فى استعادة الوحدة الألمانية . وإلقاء الرعب قبل استكمال الدفاع الوطنى ، وحفاظا على التفوق الاقتصادى وما يتصل به من التبادل التجارى مع الكتلة الشرقية .

□ □ □

ومهما يكن من أمر ، فإن التعامى عن الحقائق ، وعدم المواجهة للتطورات الأساسية ، ولا الفرقة بالإمكانيات الذاتية وحسن استخدامها – كل ذلك هو الذى أدى إلى ما ألم بمصر خاصة ، وبالعالم العربى عامة ، قبل السبعينات . . لقد كنا نستريح إلى الرفض والسلبية والهرب من المواجهة للحقيقة والواقع . . .

ودار الزمن دورته فى السبعينات . . وأصبحت سياسة مصر العربية رمزا للمبادرة والإيجابية . . تلقى التأييد العالمى الحر . وأصبحت سياسة المعارضين فى إسرائيل وفى العالم الغربى رمزا للرفض والسلبية . . تلقى المقاومة الشاملة من الداخل والخارج . ولا مناص من استكمالها لحركة التاريخ . . حركة السلام العادل الشامل . . .

وتتصل قلة الهرب من الخلائق فى حركة الأصوليات الإسرائيلية . . فهى توجيح نار العداوة والبغضاء بين العرب واليهود فى مطلع عهد السلام . . ثم تتخذ إجراءات قمعية تحاكى تمام الحاكاة منطلقات هذا العهد . . .

ومن أبشع صور العارين حركة الرفض العربية التى قادها الراقصان الأرعنان الأسد والقذافى . . وانتهت سيرا إلى شن الحرب على الشعب السورى والتهى بعد الشعب الفلسطينى . . وانتهى الأمر إلى أن تصبح سورية كلها ميدانا لحرب الإبادة المعلنة على الشعب السورى العربى بدعم خارجى قريب وبعيد . . وانتهى الأمر بالليبيين إلى الفرار إلى بريطانيا وايطاليا وأمريكا وغيرها لجاة عيانهم . . فيلاحقهم القذافى بتدبير تصفيتهم جسديا . . بعلنه بلا حجل ولا تحفظ . . ويثور الأوروبيون والأمريكيون حيناء الهرب الليبين ويطردون العملاء الإرهابيين لمثل القذافى . . . ولا يثور العرب الداعمون ولا الصامتون المتعاونون . ! !

□ □ □

ومن صور الهرب العجيبة مواقف حكومات الخليج وشبه الجزيرة العربية . . فقد تصوروا أن باستطاعتهم النجاة من الإرهاب بالبذل والعطاء . فأغدقوا على من يحملون للإطاحة بهم والتمكين لمطامع الأجنبية فى بلادهم . وهكذا مولوا مصادر الأخطار المهددة لهم ولوطنهم .

■ وأشد صور الهرب خطلا هى صورة الزعماء الفلسطينيين . .

فقد تنكبوا سبيل السلام المستقيم ، وسلكوا سبيل الصراع الشوك الوعر . . وأخروا خطوات قضيتهم التى مشيا بفضل سياسة الحرب والسلام المصرية . . وأخذوا يحاولون فى مجلس الأمن ما قاسينا فشله لثلاثين عاما . . وخدعوا بالأوهام فصدمتهم المواقف الدولية الأخيرة . .

□ □ □

ولقد عجبت حين استمعت لتصريح أخير من السيد ياسر عرفات بعد لقائه بأمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح . . فقد أكد الأخ أبو عمار تأييد السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط غير حافل بأفغانستان ولا بالموقف العربى الإسلامى . . ثم قال إن المنظمة ستشعل النار فى بترول الشرق الأوسط إذا حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل فى المنطقة . . ولقد يقبل هذا القول غير المحكم من الزعيم الفلسطينى إذا كان التهديد المسرف من أجل قضية فلسطين . . أما أن يكون مظهرا للتورط فى الصراع الدولى ، فذلك هو الباطل حقا . . .

واجتمع أبو عمار مع قطب زاده وزير خارجية إيران فى بيروت . . وقال أبو عمار إن الثورة الإيرانية والثورة الفلسطينية ثورة واحدة متكاملة . . ولا أدرى فهم التكامل ؟ ! لقد خرج الرئيس الإيرانى الحسن بنى صدر أخيرا من حسابه . . وشكا مر الشكوى من حكومة الخمينى التى أصبحت حكومات متصارعة على السلطان . . ومن الدولة التى أصبحت أقاليم متقاتلة وعملا متحاربة ، يسقط فى معاركها كل يوم عشرات القتلى ومئات الجرحى . . عدا من يسقطون فى أحكام الأعدام الثورية المتعجلة . . ونهى بنى صدر . . ونهى العالم معه . . الوحدة الإيرانية التى رحلت مع الشاه منذ عام وربع عام . . ! فهل هو التكامل فى الإرهاب والخرق الوطنى والتسقط الدولى ؟ ! .

■ وأخطر ما فى الأمر التورط الفلسطينى مع إيران ضد العراق المتحاربين . . وبهذا أصبحت المنظمة الفلسطينية تخضع للإرهاب المتناقضين من السوريين والليبيين والعراقيين . . وبهذا يشكر صلاح خلف من التدمير العراق لاغتياله فى بغداد . . . ولا يجد الفلسطينيون منذا ثابتا سوى مصر العربية . وإن أبطل المبطلون وأنم الأفاكون . . .

ولبنان . . لقد عرفت لقضيتنا عن مصر . فتصاعدت كوارثها ولم يقمها الموحدون ولا العرب ولا التدويل على طول خمس سنين ؟ ! وكان الرئيس اللبنانى . إلياس سركيس ، مدير مصرف لبنان ، قبل أن يتولى الرئاسة على أسنة الرماح الأسدية . . وكان يتحسس للتعاون المصرى اللبنانى مرددا دائما ارتباط الاستقرار والتقدم فى لبنان بهذا التعاون . .

و ألت تلك سياسة لبنانية ثابتة . . استقرت منذ عهد بشارة الخورى ورياض الصلح . ورعى ما قبل إلياس سركيس وسليم الحص . . وكان اللبنانيون يطلقون على سركيس ، تعبيرا عن انتمائه المصرى ، « مدير مصر فى لبنان » . . وظن سركيس أنه يستطيع تجاوز الخلائق المستقرة . فزاد لبنان وحكومته ورئيسه هوانا على هوان . ! !

وماذا كسب المغرب وتونس والأردن من الأموال العربية المتدفقة ؟ ! وهل استطاعوا أن يتجاوزوا بها الخلائق الثابتة ؟ ! أو أنها زادتهم ضغطا على ضعف ، وتصاعدت معها المخاطر والكوارث ؟ !

□ □ □

وبعد ، فإن التعامل مع الخلائق هو السبيل لما حققته مصر ، بقيادة السادات ، فى السبعينات . وهو السبيل لما يرجى للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة فى مطلع الثمانينات . . وعلى الأصدقاء العرب جميعا أن يتعاملوا مع الخلائق الجغرافية السياسية فى العالم العربى . وهى حقائق لا تميل ذات اليمين ولا ذات اليسار ، رغبة فى المال أو خشية للإرهاب . ! !

ومهما يكن من أمر فإن مصر العربية تستند فى سياستها إلى الخلائق الصلبة ، وإلى الانجازات التاريخية فى ميدان الحرب والسلام . .

ولابد – بمشيئة الله وإيمان أمتنا – أن يستعيد الشعب الفلسطينى حقوقه الوطنية ويؤسس دولته المستقلة ، وأن تخرج منطقتنا من مخاطر التهديد الأجنبى بسودها السلام العادل . . .

□ □ □

■ وهنا يأتى دور مصر الجاد فى مطلع العهد الجديد الذى بدأناه منذ شهرين . ويقدر البناء الذاتى تتحقق الأمانى الوطنية والقومية . . . وهنا تتطلع الأنظار إلى الأيام القلائل المقبلات . .

فتحية لمصر يوم انتصرت فى الحرب وفى بناء السلام . . .

وتحية لها يوم تتحقق الأمانى الفلسطينية ويسود السلام العادل . . .

وتحية لها يوم تصحح المسار الوطنى الداخلى . . .

وتحية لها يوم تلتقى والأشقاء العرب فى خطة رشيدة وعمل كلمة سواء . . ■